إنجيل متى ١٦: ١-٤

«ديانة العجائب»

تأليف: تومي ساوث

«وجاء إليه الفريسيون والصدوقيون ليجربوه، فسألوه أن يريهم آية من السماء. فأجاب وقال لهم: إذا كان المساء، قلتم صحو! لأن السماء محمرة، وفي الصباح اليوم الشتاء، لأن السماء محمرة بعبوسة. يا مراؤون، تعرفون ان تميزوا وجه السماء وأما علامات الأزمنة فلا تستطيعون! جيل شرير فاسق يلتمس آية، ولا تعطى له إلا آية يونان النبي. ثم تركهم ومضى» (متى ١٦: ١-٤).

لم يقتنع الفريسيون والصدوقيون بعد بهوية يسوع، فجاءوا إليه وسألوه أن يريهم آية من السماء (متى ١٦: ١). كانوا يطلبون معجزة لاثبات هوية يسوع، ولكن كشف متى البشير بان دوافعهم لم تكن سليمة. جاءوا «ليجربوه»، لا ليتعلموا منه أو عنه. مثل هذا الإثبات غير ضروري؛ كان يسوع قد اطعم مؤخراً خمسة آلاف رجلاً (متى ١٤: ٢١-٣١) وأيضاً أربعة آلاف أخرى (متى ١٥: ٣٢-٣٩). كان قد أُعطيَ بشهادة كافية عن قواته المعجزية! ولكن كان مثل هذه الشكوك وعدم الإيمان شيء عادي في سلوكهم تجاه يسوع. طالبوا منه آية في وقت سابق، فوبخهم بسبب روحهم الشرير والفاسق، وأنذرهم بانه لا تُعْطَى لهم آية إلا «آية يونان النبي» (متى ١٢: ٣٨-٤٢). والآن يقولون له: «لم نرى ما يكفي! أعمل المزيد! أجعلنا نؤمن!»

حقيقة «ديانة العجائب» اليوم

ليس أعداء يسوع وحدهم الذين يطلبون «ديانة العجائب». فإن «ديانة العجائب» شائعة في وقتنا الحاضر. يجذب المعلمين الدينيين جموع غفيرة ويجمعون مبالغ كبيرة من الأموال على أساس الادعاء بقوات عجائبية. يُعتبر هذا «علامة» لسلطانهم و/أو لهم معلومات خاصة من الله. ويُظن بان هذه العجائب تثبت بانهم «مملوئين من الروح القدس». كل من لا يبدي أو على الأقل يدعي بهذه العلامات، يجهلونه ويعتبرونه غير مملوء من الروح. يضع آلاف من الناس إيمانهم على الآيات التي تحدث يومياً من الله في حياتهم. هذه ليست مبالغة إذا قلنا بانه يوجد كثيرين يدمنون «ديانة العجائب». كما هو الحال مع كل أنواع الادمان الأخرى، يجب ان يبلغ الاعجاب مرحلة أفضل لكي يأتي بالذروة التي يطلبها العابدون. لا بد ان ادعاء القائل «ان الذين يجرون الآيات» قد اصبحت غير مألوفة أكثر فأكثر، إذ ان أتباعهم يطلبون أقوى «عمل» لكي يبقوا مؤمنين بهم.

المهم في كل هذا هو الظن بان الإيمان بـ«ديانة العجائب» هو دليل على إيمان عظيم. والذين يرفضون مثل هذه الادعاءات يُعتبرون ضعفاء في الإيمان، أو شكوكيين، أو غير مؤمنين. ولكن يجب اختبار هذا الاعتقاد عن كثب. وخاصة، ماذا قال يسوع عن المطالبة بالـ«آية»؟ هل هؤلاء الذين يُزعم انهم يجرون معجزات صادقين في ادعاءاتهم، أو يوجد جانب آخر لهذا السؤال؟

توبيخ «ديانة العجائب»

عندما طالب الفريسيون والصدوقيون معجزة من يسوع، أجاب بان «المعجزات» كانت واضحة بجلاء، واضحة كوضوح تغيرات الأحوال الجوية (متى ١٦: ١-٤). سلوكهم الشرير والفسق هما اللذان منعاهم من رؤية الأمور الواضحة. وكرر هذه العبارة مرة أخرى بان الآية الوحيدة

التي كانت ستعطى لهم هي « آية يونان » (أي قيامته من الأموات). ولكنهم طبعاً لم يقبلوا تلك الآية أيضاً (أنظر أيضاً متى ١٢: ٣٨-٤٢).

يقول إنجيل يوحنا ٢: ٢٣-٢٥ ما يلي:

> ولما كان في أورشليم في عيد الفصح، آمن كثيرون باسمه إذ رأوا الآيات التي صنع. لكن يسوع لم يأتمنهم على نفسه، لأنه كان يعرف الجميع، ولأنه لم يكن محتاجاً أن يشهد أحد عن الإنسان لأنه علم ما كان في الإنسان.

« آمن » الذين كانوا في عيد الفصح بسبب المعجزات - معجزات حقيقية. ولكن عرف يسوع بانه كان يوجد شيء من الخلل في ذلك الإيمان، كان إيمان ظاهري ولا يمكن الاعتماد عليه. لهذا « لم يأتمنهم على نفسه ».

في إنجيل يوحنا ٤: ٤٦-٥٤ ، تقدم رجل من حاشية الملك إلى يسوع متوسلاً إليه كي يذهب ويشفي ابنه. فقال له يسوع: « اذهب! ابنك حي! » « فآمن الرجل بالكلمة التي قالها له يسوع وذهب ». كان يسوع يمتحن هذا الرجل ليرى ما إذا كان إيمانه صادقاً أم مجرد « إيمان المعجزات »، وهذا ما أظهرته الجموع في عيد الفصح في أورشليم.

في إنجيل يوحنا ٢٠: ٢٦-٢٩، طلب توما اثبات بان يسوع قد قام حقاً من الأموات، وعبر بانه لا يؤمن إلا إذا رأى يسوع بنفسه. وعندما وقف يسوع أمامه وأراه أثر الجروح في يديه وجنبه كإثبات، أجاب توما: « ربي وإلهي! » يكفي انه قد رأى يسوع. ولكن قال يسوع: « لأنك رأيتني يا توما آمنت؟ طوبى للذين آمنوا ولم يروا ». ليس مثل الذين يعتبرون « إيمان المعجزات » اليوم كأجود أنواع الإيمان، قال يسوع بان الذين لم يروا أو الذين لايطلبون « إثبات » هم الأكثر بركة.

هذه النظرة الشاملة على النصوص والموجز توضح بان يسوع لم يتمسك كثيراً بـ « ديانة المعجزات ». لماذا ؟ أين الخطأ إذا طلب الناس باستمرار « معجزات » ليكبروا إيمانهم؟

رفض « ديانة المعجزات »

لا يسمح لنا المجال لنناقش ما إذا كان الادعاءات بصنع المعجزات التي يدعي بها الكثيرون اليوم هي ادعاءات صادقة أم لا. ولكن عند وضع هذا السؤال جانباً، حتى ولو اعتقد الشخص بان هذه الادعاءات صادقة، تبقى هناك مشاكل أساسية في « ديانة المعجزات ».

« ديانة المعجزات » هي بمفهوم ما ليس تعبير عن الإيمان بل عن الشك. لم يدرك الفريسيون والصدوقيون أبداً بان معجزات من عند الله هي عطية ولا يمكن المطالبة بها؛ إذا اختار الله ان يعطي آية، فحسناً يفعل. انه ليست بامكان الإنسان ان يطالب بمعجزة، بغض النظر عن الدوافع. المطالبة بالمعجزة قبل أن يؤمن الشخص أو لكي يحافظ على إيمانه هي ضعف الإيمان على الأقل. الشخص الذي يجد نفسه يقول: « لا أومن إن لم ... » فهو لا يظر إيماناً، بل شكاً.

« ديانة المعجزات » تروق الاحساس وليس الإيمان. في الرسالة الثانية إلى كورنثوس ٥: ٧، قال بولس باننا « بالإيمان نسلك لا بالعيان ». لا يجب ان نتعامل بحياتنا الروحية على أساس ما يمكن ان نراه، ونسمعه، ونلمسه - هذا هو « بالعيان ». ولكن إن كنا نثق بالله، ونقبل الآيات التي أُجْرِيت في الماضي وشهادة كلمته بالنسبة لحقيقَة تلك الآيات، فيجب ان يكفي هذا. استمرار المطالبة بآية هو نكران لمهمة الكتاب المقدس الذي به يخلق الروح القدس إيماناً.

« ديانة المعجزات » لن تكفي أبداً. إذا كانت المعجزة هي التي « تجعلك » تؤمن، فانك تعلم انه يتطلب تكرار المعجزات لكي تحافظ على إيمانك. الديانة التي تقبل وتعطي « معجزة ليوم » (أو حتى تقرير عن معجزة) تصير مدمنة. ستكون هناك رغبة قوية مستمرة لمعجزات أكثر وأعظم، وإلا فسيتزعزع الإيمان. مثل هذا التعامل مع الإيمان لا يمكن ان يعطي أبداً الشعور بسلام عميق وثابت لأن مثل هذا الإيمان لا يمكن ان يقف ثابتاً في غياب المعجزة المزعومة. ماذا عن تلك الحالات التي

لم يشفى فيها المرضى؟ عندما لم يقم الموتى؟ عندما لا تنتهي الاضطرابات بغض النظر عن صلواتنا؟ «ديانة المعجزات» لا تساعد في مثل هذه الحالات، ويوجد عادة ميول لفقدان الإيمان برمته، ما دام الإيمان يعتمد على معجزات وليس على الله القدير. أو قد «نصنع» معجزاتنا بسبب اليأس لكي نؤمن بان الله قد استجاب لصلواتنا بالطريقة نفسها كما توقعنا، عوضاً عن الملاحظة بانه يستجيب لنا بما يراه أفضل. لا يمكن لإيمان «المعجزات» في كل ظروف الحياة؛ أحياناً لا توجد معجزات للإيمان بها (كما في حالة الشوكة التي كانت في جسد بولس، كورنثوس الثاني ١٢). يمكن للإيمان الصادق في المسيح ان يساعدنا دائماً بغض النظر عن الظروف. إذا تم الاستجابة إلى صلواتنا أم لا، فانه يقوينا ويمدنا بأسباب الحياة.

«ديانة المعجزات» تنكر فعالية عمل المسيح الخلاصي. قال بولس: «لأن اليهود يسألون آية واليونانيين يطلبون حكمة. ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوباً، لليهود عثرة ولليونانيين جهالة؛ وأما للمدعوين يهوداً ويونانيين، فبالمسيح قوة الله وحكمة الله» (كورنثوس الأولى ١: ٢٢-٢٤). إستجابةً لمطالبة اليهود بالـ «آية» قال بولس: «نحن نكرز بالمسيح مصلوباً». كان يعرف بانه لا يقتنع معظم غير المؤمنين الذين يريدون أن يروا معجزة لإثبات هوية يسوع. عندما قال هذا، كان يردد ما قاله يسوع: «لا تُعْطَى آية، إلا آية يونان النبي». أي بعبارة أخرى، ماذا يطلب الشخص أكثر من «آية» موت وقيامة ابن الله؟

الخلاصة

ماذا عنك؟ ما هي الـ«معجزة» التي تحتاجها؟ أوضح كل من يسوع وبولس بجلاء بانه: إذا كان ما فعله المسيح على الصليب وفي القبر لا يجعلك تؤمن، فلا يوجد شيء آخر يجعلك تؤمن! «ديانة المعجزات» ستخيب آمالك، ولكن الإيمان الصادق بالمسيح لن يخيب آمالك. ستكون مبارك حتى ولو لم ترى.

تطبيق الكتاب المقدس في الحياة

مغفرة

جمع ملك سكسوني طاعن في السن جنوده لكي ينهي تمرد قام به وغد شرير. كانت المعركة قصيرة وحاسمة. انتصر فيها جيش الملك. ثم قام الملك الشيخ الذي كان يدعي بانه مسيحي بإرسال رسائل إلى جميع انحاء المملكة ليعلن للجميع: «يوجد الملك في خيمته، وتوجد أمام الخيمة شعلة كبيرة.. وطالما الشعلة مشتعلة، يمكن لكل من كان متمرداً ان يحصل على عفو عام بذهابه إلى الملك ويتوسل إليه من أجل المغفرة. إذا أطفأت الشعلة، يكون الوقت قد فات».

نحن أيضاً يمكن ان نحصل على مغفرة إذا جئنا بخضوع إلى الله ونسأله. «اسألوا، تعطوا. أطلبوا، تجدو. اقرعوا، يفتح لكم». ما أحزن ان يؤجل البعض المجيء إلى يسوع حتى تغلظ قلوبهم ويفوتهم الوقت! مع ان الله كثير الرحمة، فانهم يبقوا ضالين.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧